



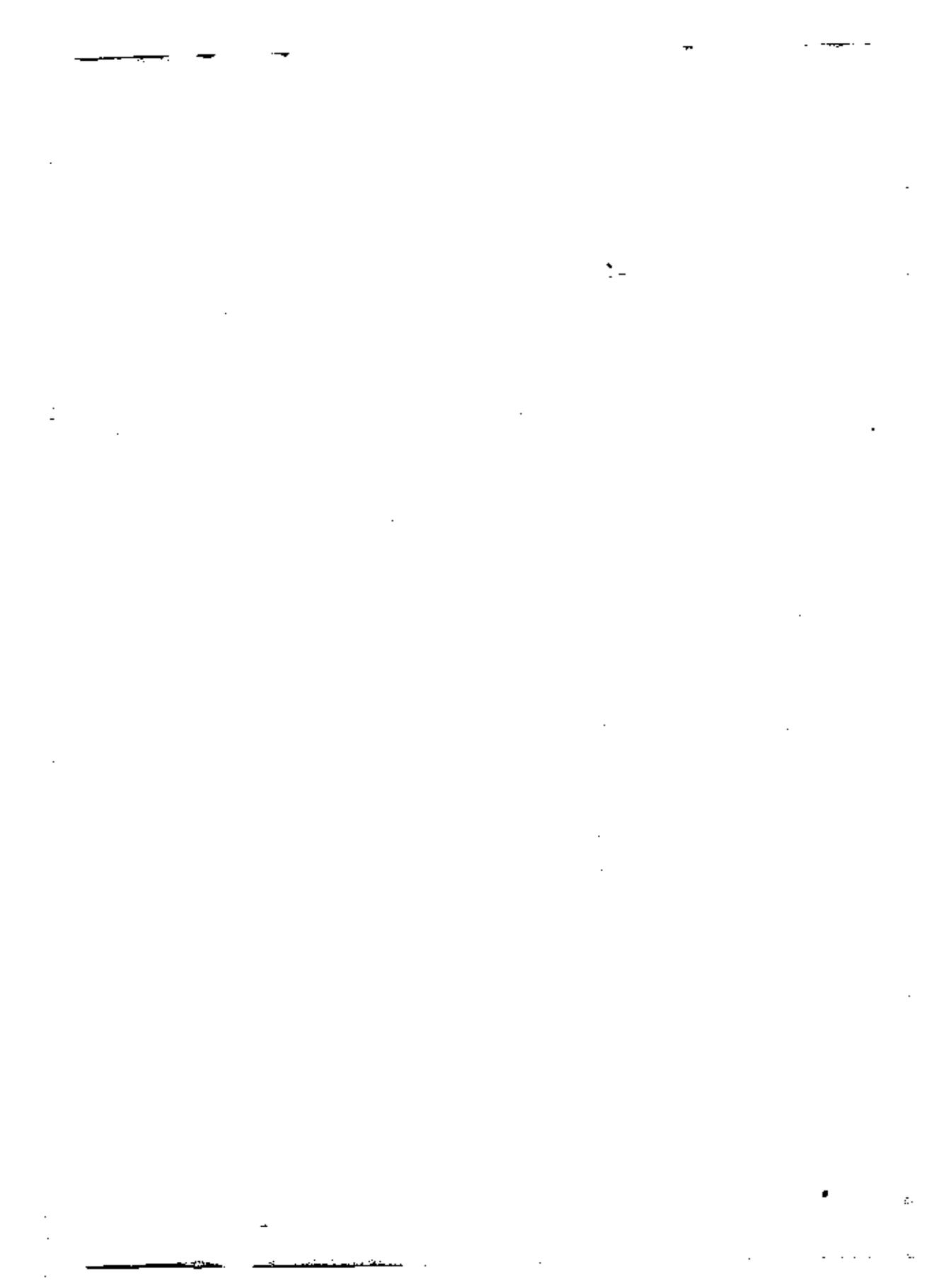
اللورد بلفور ومقامه العلمي

(١٨٤٨ - ١٩٣٠)

١

لو كان اللورد بلفور سياسياً كسائر رجال السياسة الذين توفوا حديثاً لما كان يجد له مقاماً بين الأتراجيم التي تنشرها مجلة عليه كالمتطف . ولكنه كان من أولئك الأفراد القلائل الذين جمعوا إلى دهائمهم السياسي وزطامتهم الحزبية وبراعتهم الخطابية تقوفاً في ناحية أو أكثر من نواحي الفكر . في هذا الصنف وضع هوفر رئيس الولايات المتحدة الاميركية وبانليغ الوزير الفرنسي واثور بلفور الراحل . فالاول مهندس كبير اشتهر بهندسة التعدين علماً وعملاً والثاني عالم رياضيات ممتاز والثالث حاكم طوال حياته الطويلة على الشقة التي تقع بين العلم والفلسفة فلا هو جاء فيلسوفاً يُعَمِّدُ مع الفلاسفة ولا عالماً يحسب بين العلماء . ولكن صفاء فكره ودقة نظره وشدة زكته صفات جعلت منه رجلاً يوحى إلى العلماء والفلاسفة بالآراء والافتكار وصخرة نجاة في بحر الدولة المصطخب يلجأ إليه رجال العلم حين الحاجة إلى من يدرك قيمة العمل الذي يملونه وازره في الصناعة والاجتماع وما على الدولة من الواجب في تأييدهم

قال افلاطون في جمهوريته ان الحاكم الصالح هو الرجل الذي يدرك الخير الاعظم فيجعله مثلاً يبنى عليه بناء الدولة في نظامها والافراد في سلوكهم . هو الرجل الذي يقضي معظم الوقت في التأمل الفلسفي ولكنه اذا حانت الساعة يستطيع ان يتحمل اعباء السياسة ومهام الحكم جساماً بخير بلادهم ولكنه يفعل ذلك كواجب متحم عليه لا كمن يقصد للعبادة به والكاتب الذي يحمل القلم يكتب طرفاً من سيرة اللورد بلفور لا يستطيع ان يتناسى قول «الجمهورية» هذا . لانه اذا كان التاريخ قد عرف رجلاً اقرب بعض الشيء من تحقيق المثل الاعلى الذي رسمه افلاطون فهذا الرجل هو بلفور . مجدداً التاريخ عن وزراء ورؤساء وزارات كانوا كتاباً وعلماء ولكن من لنا بين رؤساء الوزارات السابقين برجل جعل الفلسفة مهة الاول وهو لا يزال طالباً طري الاهاب . من لنا برجل اشرف في مجلة فلسفية نقد المذهب كاشف كان من شأنه ان يحمل بعض تلاميذ كانت المتأخرين - مثل جون وطسن وادورد كارد - على الرد عليه ، وهو لا يزال دون الثلاثين . من لنا برجل يؤلف وينشر وهو مضطلع





الورد بنفور

LORD BALFOUR

أمام صفحة ٥٤٦

مقتطف مايو ١٩٣٠

بهم أعلى المناصب العامة كتباً فلسفية مثل كتاب «الدفع عن الشك الفلسفي» وكتاب «اللاهوتية والفكر: درس في المعتقدات الثابتة» وكتاب «أركان الاعتقاد» المشهور
ولكننا والحق يقال لا ندري كيف نصل هذه الشخصية المتأززة بصراحتها
ومحبها للحق وترفعها عن الدنيا، المتقفة بأساليب البحث العلمي الراسخة في أصول المنطق على
تصریح خطير كتصریح بلفور في شأن الوطن القومي الفلسطيني مع أنه يدري أن اليهود الملتطوعة
لتحرب في عهد سابق لهذا التصریح تأتيه. إلا أن تكون الناحية السياسية قد سطت في نفسه
على الناحية الفلسفية لما رأى ما حلّ يلاذون من الخن فرأى في هذا التصریح مخرجاً ولو ضيقاً منها
على أننا أخذنا على نفسنا عدم الخوض في الناحية السياسية من حياته وهي طويلة
منصبة بالحوادث العظيمة تشغل ما يزيد على نصف قرن من تاريخ بلادهم بل من التاريخ
العالمي شغل في اثنتائه أعظم مناصب الدولة في الخارجية والبحرية والمالية ورئاسة الوزارة
وزعامة مجلس النواب ومؤتمر الصلح بفرساي ومؤتمر واشنطن البحري. فنسند إلى ما قبل
فيه من الناحية العلمية. وقد عنت بها مجلة نايشر عناية خاصة فطلبت إلى تفرستن رجال
العلم الذين صادقوه أو زاملوه أو تلمذوا له أن يصفوا علاقاته بمختلف المنشآت العلمية
فأرنا أن ننشر ترجمة رسالة السر جوزف طلمس العالم المشهور. قال:

٢

لا نمدو حدود الانصاف حين نقول أن اللورد بلفور يفوق كل سياسي آخر في
ضايته بترقية العلم وتشجيع القائمين به واهتمامه بالاتصال الدائم بهم والاطلاع على نتائج
مباحثهم. كان لورد الميرتزية الأول لما شرع في إنشاء «المجلس الطبي الوطني» وقد كان
لطفه وتأييده أكبر أثر في إخراج هذا المجلس إلى حيز الوجود. وقد كان ذا يد في تأسيس
«مصلحة البحث الصناعي العلمي» وليث رئيس مجلسها ستين كثيرة. وكل من اتصل بهذه
المصلحة يعلم العناية العظيمة التي كانت تبدو منه بأعمالها وما هي مدينة به لإرشاده وعطفه
لأن رجالها كانوا واقفين بهم يستطيعون الاعتماد عليه في حل ما يقوم في وجههم من
المشكلات. ما من رجل كان يستطيع أن يذل يده في كياسة وكرامة مثله. وما يصح على
علاقته بمصلحة البحث الصناعي والعلمي يصح على علاقته بمجلس البحث الطبي
كان اللورد بلفور من رواد الداعين إلى تطبيق البحث العلمي على الشؤون الصناعية. أشار
إلى ذلك في خطبة سدجوك التذكارية التي خطبها سنة ١٩٠٨ قال: «من الواضح في رأيي
أن على هذا - أي تطبيق البحث العلمي على الشؤون الصناعية - يجب أن نتمتع في تحسين
الأحوال المادية التي تعيش فيها الجماعات الإنسانية». ولم تحصر فائدة البحث العلمي عنده

في دائرة الشؤون الصناعية، بل عدكها الى غيرها . لأنه يقول في الخطبة نفسها : « العلم هو اداة التحول الاجتماعي العظيمة . وعظمة هذه الاداة تزداد لأن ثباتها ليس التحول بل المعرفة . واختصاصها بهذه الوظيفة في اصطناع الزراعة السياسي والتي هي اعظم الثورات التي تميز بها ارتقاء الحضارة الحديثة »

لقد كان جبهه لعم وميله اليه يجريين مجرى الدم في عروقه . فلقد كان خاله السياسي الشهير اللورد سالسبوري متازاً بين رجال انسياسة بمرولة وباحته العلمية حتى لقد انتخب لرأسة مجمع تقدم العلوم البريطاني الملتئم في اكسفورد سنة ١٨٩٤ الذي أعلن فيه اللورد ريكلي والسر ولهم رمزي . اكتشافهما لغاز الارغون . وكان أخوه فرنك من أربع علماء المنورفولوجيا البريطانية قلما يبلغ الثلاثين من العمر فلما توفي في الحادية والثلاثين من عمره فقدت به جامعة كمبردج عالماً لا يعوض

واذا صرنا النظر عن رعاية اللورد بلفور بالعلم كقوة اجتماعية وصناعية وجدنا أنه عني به رعاية خاصة من الوجهة الفلسفية . وبقي متصلاً بارتقاء الباحث الحديثة لتطبيق آرائه الفلسفية عليها . انتخب عضواً للجمعية الملكية سنة ١٨٨٨ وعين عضواً في مجلس ادارتها مرتين . وانتخب رئيساً لمجمع تقدم العلوم البريطاني سنة ١٩٠٤ فألقى فيه خطبة فلسفية علمية بليغة أثبت فيها الملمة بمسائل الطبيعيات الجديدة^(١) . لقد كان يتحدث معه في الموضوعات العلمية مقوياً عقلياً لأنه كان سريع الخاطر في إدراك المسائل التي يدور عليها البحث موقفاً في اختيار النقط الأساسية فيها زكناً في التكهن بما قد تسفر عنه الباحث المقبلة . سنة ١٩٠٩ اختر خلفاً للورد ريكلي أمناً لجامعة كمبردج . فلهذا سألنا في تمسك

الطرق لبناء دار « المكتبة » الجديدة التي بحسب بناؤها أعظم حدث في تاريخ كمبردج . وكان قبل ذلك قد كتب رسالة موجزة عن وجوب إيجاد منصب لاساذا في موضوع « الوراثية » خلصت هذه الرسالة عمناً فضل أن يبتى مجبولاً على وقف المال اللازم لهذا المنصب مشروطاً أن يدعى منصب الاساذا باسم « ارثر بلفور »

وقد شغل اللورد بلفور في اثناء حياته منصب امين جامعة أدنبره مدة ٣٩ سنة وامين جامعة كمبردج احدى عشرة سنة وكان القاباً علمية من ست عشر جامعة ودعي لافاء خطبة جفرد وخطبة رومانيس التذكاريين وكان وسام ربطة الساق ووسام الاستحقاق وكان مولعاً بالموسيقى وخصوصاً مؤلفات هندل وباخ فكان من هذا القليل شديد الشبه باينشتين

(١) يجد القارئ ترجمة رامية لهذه الخطبة في كتابنا « اسم واسمرا » صفحة ٨٥